الحسد في الادب العباسي دراسة موازنة بين شعراء المتن والهامش

Envy in Abbasid Literature: A Comparative Study of Mainstream and Marginal Poets

الطيب محمد غازي

Altyyed Mohammed Ghazi

كلية الآداب المستنصرية

Mustansiriyah University College of Arts – Iraq

الملخص:

يتناول شعراء العصر العباسي ظاهرة الحسد من وجهتي نظر مختلفتين، فبينما يتفاخر شعراء المتن بحسد الحساد لهم بوصفه قرينة للنعمة أو منقبة للعز، نجد شعراء الهامش يهمسون به ساخرين من كل صاحب حظوة. وبينما تتحول المفاخرة بالحسد عند شعراء المتن إلى نسقٍ ثقافيٍّ تترافق معه نبرة متعالية في الخطاب، تريد سحق الآخر والنيل منه، نجد أن شعراء الهامش قد تشكّل لديهم النسق ذاته، ولكن بشكلٍ معكوس، فكانوا هم الحُسّاد الناقمين، وسرعان ما بدأوا يشعرون بالدونية، ليصبّوا عداءهم صبًّا على من يعتقدون أنهم المتسببون في بؤسهم وحرمانهم.

وهكذا يكون لدينا شاعران: الشاعر السيد، والشاعر المسود، ولكلٍّ منهما نسقيّته في التعامل مع الظاهرة ذاتها. فمثلما نجد المتنبي يستلذ بحسد الحُسّاد له، نجد الأحْنَف العكبري يتألّم من حرمانه ووجعه الروحي. فلكأنَّ للحسدِ لذّةً وألَمًا.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، الادب العباسي، الحسد، المتن والهامش.

Abstract:

In the Abbasid era, "mainstream" poets and "marginal" poets addressed the phenomenon of envy from two different perspectives. While mainstream poets took pride in being envied—regarding the envy of others as a sign of good fortune or a mark of honor—marginal poets whispered about it mockingly toward anyone of high status. At the same time, among mainstream poets, boasting about envy evolved into a cultural pattern marked by a condescending tone, seeking to undermine and

dominate others. As for the marginal poets, they adopted the same pattern but in reverse: they themselves became spiteful enviers. Before long, they began to feel a sense of inferiority, channeling their hostility toward those they believed to be the cause of their misery and deprivation.

Hence, we have two types of poets: the "master" poet and the "subjugated" poet, each with his own framework for dealing with the same phenomenon. Just as we find al-Mutanabbi relishing the envy directed at him, we find al-Ahnaf al-'Akbari suffering from a deep, spiritual wound. It appears that envy carries both pleasure and pain.

Keywords: Arabic language, Abbasid literature, envy, mainstream and marginal

اولًا: الحسد لغةً واصطلاحًا

جاء في لسان العرب: "الحسد أن تتمنى زوال نعمة المحسود إليك، يُقال: حسده يحسد حسدًا، وحسده إذا تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته أو يسلبها هو" (منظور، صفحة ٨٦٨). ويقول الجاحظ(ت٢٥٥هـ) بهذا المعنى: "الحاسد إنما همه أن ينزع الله منك النعمة" (الجاحظ، ١٩٩١م، صفحة ٦/٣). قال تعالى:{أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا}. (النساء: ٥٤) والحسد، وفقًا للتعبير القرآني، شرٌّ مطلق؛ قال تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} (الفلق: ٤-٥). وهو أخو

الكفر، إذ قال سبحانه: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حسَدًا} (البقرة: ١٠٩). كما أن الحسد قديمٌ قِدَم الخليقة، وقد عرفته الشعوب الإنسانية منذ فجر التاريخ. قال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} (المائدة: ٢٧). لم يكن الحسد وحده مهمًا في هذه القصة القرآنية، بل الأهم أن قابيل طوّعت له نفسه قتل أخيه، فقتله. ويبدو أن النبي يعقوب – عليه السلام – كان مدركًا لخطورة الحسد، ولذلك قال لابنه يوسف – عليه السلام –: {يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} (يوسف: ٥). إذن، بسبب الحسد قد يقتل الأخُ أخاه، فهو من الأمراض القاتلة غير المأسوف عليها. ولهذا يقول الإمام علي – عليه السلام –: "الحسدُ مَرَضٌ لا يُؤسَى" (آمدي، د.ت، صفحة ٣٠٠).

ثانياً: فهم الادباء العرب لظاهرة الحسد

لعلَّ أول من وقف عند الحسد وقفة مبكرة هو **الجاحظ**، فقد خصص لهذه الآفة رسالةً كاملة عالج من خلالها الحسد، ووقف على مسبباته محللًا الشخصية الحسودة تحليلًا ينمّ عن وعي ثقافي سبّاق لعصره. لذلك، يقول: "والحسد – رحمك الله – هو أول خطيئة ظهرت في السماوات، وأول معصية حدثت في الأرض، خُصَّ به أفضل الملائكة، فعصى ربه وقايسه في خَلْقه، واستكبر عليه.." (الجاحظ، ١٩٩١م، صفحة ٦/٣).

في تلك الرسالة، يناقش الجاحظ الحسد من عدة محاور، منها طبيعته، إذ يشرح كيف أن الحسد ينشأ من شعور الإنسان بالنقص أو الخوف من زوال النعم. كما أنه فرّق بين الحسد السلبي، الذي يؤدي إلى الأذى، والحسد الإيجابي، الذي يدفع الشخص إلى التنافس الشريف. كذلك، وقف على الآثار النفسية للحسد، إذ لا يضرّ المحسود فقط، بل يسبب الألم والاضطراب للحاسد نفسه. لذلك، نجده يقول: "ولو لم يدخل على الحاسد بعد تراكم الغموم على قلبه، واستمكان الحزن في جوفه، وكثرة مضضه ووسواس ضميره، وتنغّص عمره وكدر نفسه ونكد عيشه، ألا استصغاره نعمة الله عليه". (الجاحظ، ١٩٩١م، صفحة ٥/٣).

الجدير بالذكر أن **ابن قتيبة الدينوري**(ت٢٧٦هـ) تناول هو الآخر موضوع الحسد في عيون الأخبار، إذ أفرد فصلًا خاصًا للحسد ضمن باب الطبائع والأخلاق المذمومة، وأورد في هذا الباب طرفًا من القصص والأخبار والخطب والأشعار في ذمّ الحسد. وقد ركز على الظاهرة بوصفها حالة اجتماعية وأخلاقية تؤثر سلبًا على الأفراد والمجتمعات، لذلك ينقل عن أحد الحكماء قوله: "الحاسد طويل الحسرات". كما ينقل عن ابن المقفع(ت١٤٢هـ) قوله: "فإنَّا لم نَرَ ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد، طول أَسَفٍ ومحالفة كآبةٍ وشدة تحرّقٍ". (ابن قتيبة، ٢٠٠٨م، صفحة ١٤/٢). **أما أبو حيان التوحيدي**(ت٤٠٠هـ)، فيميز بين الغبطة والحسد، قائلًا: "وأما الغبطة والحسد، فخلقان، رسم الأول منهما بأن تتمنى لنفسك ما أوتيه صاحبه، ورُسم الثاني بأن تتمنى زوال ما أوتيه صاحبك، وإن لم يصل إليك" (أبو حيان التوحيدي، ٢٠١٩، صفحة ١٥٧). وكذلك يرى **الثعالبي**(ت٤٢٩هـ) أن الحسد داءُ الجسِد، والحاسدُ مغتاظٌ على من لا ذنبَ له، بخيلٌ بما لا يملكه، طالبٌ لما لا يجده، ولا يرضى عنك الحسود حتى تموت وكأن الحاسد إنما خُلق ليغتاظ. (الثعالبي، ٢٠٠٣م، صفحة ٢٦٣).

ثالثا: الفهم الفلسفي والانثروبولوجي لظاهرة الحسد

واحد البحوث القليلة والمهمة التي عنيت بموضوع الحسد، بوصفه ظاهرةً انسانيةً لها ابعادًا نفسية ومجتمعية هي دراسة الباحثة "دينا عباس" فقد نقلت باحثة الجامعة المستنصرية في دراستها الموسومة "الحسد على وفق مستويات المقارنة الاجتماعية" اراءَ عددٍ للفلاسفة وناقشت نظرياتَ عددٍ لعلماء النفس والاجتماع حول هذه الظاهرة. ويبدو أن فهم الحسد كمرضٍ روحي يعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد، إذ اتفق علماء الفلسفة قديمًا، مثل **أرسطو** (ت٣٢٢ق.م) **وأفلاطون**(٣٤٧ق.م)، على أن "الحسد شعورٌ بالانزعاج للحظّ الجيد لشخصٍ آخر". (حسين، ٢٠١٩م، صفحة ٨) يقول أرسطو: "الحسد هو ذلك الألم الناجم عن الحظ السعيد للآخرين بينما يرى أفلاطون أن الشخصية الحسودة ناتجة عن ألمٍ روحي.". (حسين، ٢٠١٩م، صفحة ٨). واذا ما انتقلنا للعصور المتقدمة سنجد أن إيمانويل كانط، يعتقد بأن مقارنة الذات مع الشخص المتفوق تقع في جوهر الحسد، وهكذا لا يكون الحسد هو

الألم الذي يحدث عندما يقوم الآخرون بعمل جيد، بل بالأحرى هو الألم الذي ينشأ عندما يحسن الآخرون من أحوالهم (حسين، ٢٠١٩م، صفحة ٨). وبحسب فوستر، فإن الحسد "ظاهرة بشرية موجودة وشائعة لدى أغلب المجتمعات، وتوجد بدرجاتٍ متفاوتةٍ بين الأفراد، وإنه انفعالٌ خطيرٌ ومدمرٌ كونه ينطوي على العداء، الذي يؤدي إلى العدوان والعنف القادر على تدمير المجتمعات". (حسين، ٢٠١٩م، صفحة ١٠). أما ألفريد أدلر، فيفسّر الحسد في كتاب الطبيعة البشرية بأنه: "شعور يتزايد كردّ فعل لاستمرار الفرد في المقارنة بين إنجازاته وإنجازات الآخرين، وهذا لا يساعد الفرد على أن يكون سعيدًا". (ادلر، ٢٠٠٥م، صفحة ٢١٨). وهذا يؤدي، بطبيعة الحال، إلى تصاعدِ عددٍ من المشاعر العدائية، كالغيرة والغضب والحقد. فالحسد واحد من الانفعالات السلبية التي غالبًا ما تحفز السلوكيات العدوانية، فهو إسقاط الرغبة الذاتية الدفينة في سلب الآخر مما يتمتع به من حظ. (حجازي، ٢٠٠٥م، صفحة ١٥٢). وقد تجلت طبيعته العدائية في الكثير من الجرائم والصراعات بين المجموعات، من الاغتيال والقتل والتخريب التي أثارها الحسد، فهو، وفقًا للتعليل النفسي، "انفعالٌ مدمِّر". (حسين، ٢٠١٩م، صفحة ١٠).

رابعا: الحسد بين شعراء المتن والهامش

نتيجةً للتفاوت الطبقي الحاد في العصر العباسي، ظهرت أكثر من آفة اجتماعية، وكان الحسد واحدًا من إرهاصات هذا التفاوت، ما جعله ظاهرة شائعة عند الكثيرين. وقد تناوله الشعراء من وجهات نظر مختلفة، ويبدو أن الفخر بالحسد كان قد شكَّل نسقًا عند شعراء المتن، أي الشعراء الفحول، بينما كان شعراء الهامش، الذين عانوا التهميش والحرمان، هم الحساد، والمجاهرون أحيانًا بحسدهم، سواء بدافع الحرمان أو السخرية. ولعل المتنبي(ت٣٥٤هـ) واحدٌ من أكثر شعراء المتن فخرًا بالحسد، وهو أمر طبيعي، فهو "شاعر الملوك"، لذلك نجده يقول: (المتنبي، ٢٠١٤م، صفحة ١/ ٢٦٨). [الطويل]

أزل حسدِ الحُسادِ عني بكبتِهم فأنت الذي صيرتهم لي حسدا

المتنبي يدرك تمامًا طبائع الحساد، فقد كان من أكثر الشعراء الذين حُسدوا لمكانتهم عند الملوك، وهو يعلم أيضًا أن الحسد مرضٌ يصيب الأرواح والأبدان، لكنه وفي كثيرٍ من الأحيان يستلذُ بحسدِ الحساد له، لذلك هو يقول: أزل حسد الحساد عني "بكبتهم"، أي إنه يدعو ممدوحه للإكثار من العطاء والكبت في آنٍ واحد. يقول في موضع آخر: (المتنبي، ٢٠١٤م، صفحة ١/ ٢٦٨).[الطويل]

سوى وجعِ الحُسَّاد داوِ فإنَّهُ إذا حلَّ في قلبٍ فليسَ يَحولُ

ويقول ايضا: (المتنبي، ٢٠١٤م، صفحة ١/ ١٥٧).[الخفيف]

أنا تربُ الندى، وربُّ القوافي وسمامُ العدى، وغيظُ الحسودِ

ويضيف: (المتنبي، ٢٠١٤م، صفحة ١/ ٥١٥). [الوافر]

فأبلغ حاسديَّ عليك أني كَبَا برقٌ يحاولُ بي لحاقا

ويرى أيضًا أن الحسدَ كمدٌ يُهلك صاحبه: (المتنبي، ٢٠١٤م، صفحة ١/ ٥٢٣).[الطويل]

وَمَا كَمَدُ الحُسَّادِ شَيْئًا قَصَدْتُهُ وَلِكُنَّهُ مَنْ يَزْحَمِ الْبَحْرِ يَغْرَقِ

رسائل المتنبي واضحة، فهو يعبر عن ثقته بنفسه وازدرائه للحساد، مصورًا إياهم بالعاجزين تمامًا أمام العظمة التي وصل إليها. فهو كالبرق الذي لا يمكن لأحدٍ لحاقه، أو كالبحر الهائج الذي يُغرق من يزاحمه. ولم يكن المتنبي وحده من يفخر بالحسد، فقد كان هذا ديدن شعراء المتن عمومًا، أمثال البحتري(ت٢٨٤هـ) وأبي تمام(ت٢٣١هـ). حتى إن الآمدي(ت٣٧٠هـ) خصص في "الموازنة" بابًا بعنوان "باب الحسد"، وهنا سنجد البحتري يرى الحسدَ قرينُ النعمة التي لا يفترق عنها: (الآمدي، د. ت، صفحة ١١٩). [الوافر]

وليس تفترقُ النَّعْمَاءُ، وَالحَسَدُ أن توجد الدهر إلا عندَ محسودِ

كما يقول: (الآمدي، د. ت، صفحة ١١٧). [الطويل]

ولن تستبينَ الدهر موضع نعمةٍ إذا أنت لم تدلل عليها بحاسد

أما أبو تمام، فقد أكد ذات المعاني مع تنميقها بشيءٍ من الفلسفة والمنطق والصور البديعة: (الآمدي، د. ت، صفحة ١١٦). [الكامل]

واذا اراد الله نشرَ فضيلةٍ طويت أتاحَ لها لِسـانَ حَســُودِ

لولا اشتعالُ النَّارِ فيما جَاوَرَتْ ما كَانَ يُعرفُ طِيبُ عُرفِ العودِ

لولا التَّخَوُّفُ للعَواقِبِ لَمْ تَزَلْ للحاسد النُّعْمَى عَلى المَحْسودِ

ويقول ايضا: (الآمدي، د. ت، صفحة ١١٨). [الوافر]

كم لَكَ في النَّاسِ مَن حَاسِدٍ وفي الحَسَدِ النَّزْرِ حَظٌّ الحَسُّودِ

ويرى ان الحسد مكملٌ للمعالي: (الآمدي، د. ت، صفحة ١١٥). [

وآعذر حسودكَ فيما قدْ خُصصتَ بهِ إنَّ العُلى حَسنٌ في مثلِها الحَسدُ

ويرى ايضا ان الحسد مَرضٌ يصيب الأجساد، فيقول: (الآمدي، د. ت، صفحة ١١٥). [ ]

مخامري حسدٍ ماضر غيرهم كأنما هو في أبدانهم مرض

وهو يتفق مع الجاحظ في أن الحسد "آفة المحرومين"، إذ يقول: (الآمدي، د. ت، صفحة ١١٧)]

[**جهدوا على أن يلحقوك وأفحش الـ حرمان يقدر للحريص الجاهد**

يشير ابو تمام إلى أن أكبر عقوبة يمكن أن يتعرض لها الحاسد هي الحرمان من النجاح أو التقدم، فهو يرى أن الحرمان نتيجةٌ منطقيةٌ للحسد. وفي نهاية "باب الحسد"، يفضل الآمدي أبا تمام على البحتري، فيقول: "قد تصرفا في هذا الباب تصرفًا حسنًا، غير أني أفضل أبا تمام لقوله: "وإذا أراد الله نشر فضيلة.. لأنه معنى متناهٍ في حسنه وحلاوة لفظه" (الآمدي، د. ت، صفحة ١٢١). ولم يقتصر هذا الفخر على المتنبي والبحتري وأبي تمام، بل نجده عند الشريف الرضي(ت٤٠٦هـ) ايضا، حيث يقول: (الرضي، ١٩٦١م، صفحة ٢٩٧). [الخفيف]

شقيت منكَ بالعلاءِ الأعادي والمعالي ضرائرُ الحُسادِ

وهو يتفق مع الآخرين على ان الحسدَ علامة العز. إذ يقول: (الرضي، ١٩٦١م، صفحة ٣٠٤).[المنسرح]

علامة العزَّ إنْ حُسِدت به إنَّ المَعَالِي قَرَائِنُ الحَسَدِ

لا، بل إنَّ الشريف الرضي يرى أنَّ المناقب آيةُ المحسود، وذلك حينما يقول: (الرضي، ١٩٦١م، صفحة ٢٨٧). [الوافر]

وأبي الذي حسدَ الرجالُ قديمُهُ إنَّ المناقبَ آيةُ المحسودِ

هذا ما يراه ويفخر به الشريف الرضي، أما ابن الرومي(ت٢٣٣هـ) فيعتقد أن ممدوحه أعلى من أن يُحسد، لذلك يقول: (الرومي، ٢٠٠٢م، صفحة ٤٤٥/١). [الكامل]

ما أنت بالمحسودِ لكنْ فوقَهُ إنَّ المبينَ الفضلَ غيرُ محسَّدِ

يتحاسدُ القومُ الذينَ تقاربتْ طبقاتُهمْ وتواءموا في السُؤددِ

فإذا أبرَّ مُبرهم وبــدا لهمْ تبريزُهُ في فضلِهِ لمْ يُحـــسدِ

من هذه الأبيات، يتبيَّن أن الفخر بالحسد بدأ يُشكِّلُ نسقًا ثقافيًا مُضمرًا، لا سيَّما عند الطبقة النخبوية من شعراء العصر، أعني شعراء المتن، الذين مرت علينا عيِّنة من أبياتهم. ومع هذا، ستبقى نسقيَّة المتنبي في هذا النوع من الفخر أكثر حدَّةً من سواها، كونه فحلَ الفحولِ ومروِّض البلاغة، بحيث بدأ ينظر للآخرين "الحُسَّاد" كحشراتٍ أمام عظمته. فلم يكتفِ بالفخر والاحتفاء الذاتي كما يفعل بقية الشعراء، بل يعتقد أنَّه عقوبةُ الحاسدين، لأنَّ تفوُّقه يذكِّرهم بنقصهم الدائم ونجاحه المستمر. لذلك يقول: (المتنبي، ٢٠١٤م، صفحة ٢٧٢/٢) [المنسرح]

إنِّي وإنْ لُمتُ حاسِدِيَّ فَما أُنكِرُ أنِّي عُقوبَةٌ لَهُمُ

وكيفَ لا يُحسَدُ امرُؤٌ عَلَمٌ لَهُ على كُلِّ هامَةٍ قَدَمُ

المتنبي وغيره من شعراء المتن، الذين يفخرون بحسد الآخرين لهم، عادةً ما يستخدمون صورةً بليغة للتعبير، والمراد ظاهرًا التأكيد على تفوُّقهم وعظمتهم، إلا أنَّهم في المضمر النسقي يُصرُّون على العدوانيَّة وسحق الآخر "الحاسد" وهكذا يتحول الفخر بالحسد عند هذه الطبقة العالية إلى نسق يشترك فيه اغلب شعراء المتن ويتحول معه الحسد من آفة مجتمعية الى قرينةٍ للرضا أو منقبةٍ للعزِّ.

يقدم الباحث الكبير هشام حجازي تعليلاً يقارب المنطق في تفسير الحالة فيقول: يجد المحسود في الحسد تفسيراً لظواهر فجائية من نوع النكبات تلم به أو بذويه أو ممتلكاته. وهو تفسير ينال الرضا عند المحسود، إذ يسمح لعدوانيته أن تتفجر بدون رادع، متخذة طابع الدفاع عن النفس من شر الحاسد الذي حسد. والتفسير بالحسد يرضي المحسود لأنه يشعره بالامتياز عن الآخرين؛ إذا كان محسوداً فلا بد أن يكون ذلك لتفوقه أو فضله من جاه أو ولد. بالتالي يشعره وهمياً بارتفاع مكانته، بينما تسقط المهانة الذاتية على الحاسد. وقد نكاد نقول إن المحسود بحاجة إلى حاسد حتى يشعر بالامتياز من جانب، ويتهرب من عدوانيته الداخلية بصبها على الحاسد، ويمارسها بعد أن اتخذت شكلاً مشروعاً. وهكذا سيكون الحسد إسقاطاً للشر الذاتي والنوايا العدوانية على الحاسد نفسه. (حجازي، ٢٠٠٥م، صفحة ١٥٢). هذا من جانت ومن جانب آخر "يرى بعض الفلاسفة أن ازدواجية الأنا تقوم على تقديم نفسها بشكل تعسفي، فتكون بموضع الشريف، وتضع الآخر بموضع الوضيع، أو أنها تضع نفسها بموضع القوي، وتنظر إلى الآخر بموضع الضعيف، مما يجعلها أكثر اندفاعاً نحو الكراهية والبغض، أو اتخاذ القرارات والمواقف المتعجّلة وغير المدروسة". (منعم، حزيران/ ٢٠٢٢، صفحة ٩٠) هذا ما يقع فيه المتنبي عادةً؛ وهكذا يتعامل شعراء المتن عادةً مع ظاهرة الحسد بوصفها دليلاً على عظمتهم ونبوغهم وتفريغاً لعدائيتهم، ومع هذه النبرة المتعالية في الخطاب، ستترافقُ نبرةً نسقيةً تُحقر الآخر وتريد سحقه. المهم أن لشعراء الهامش نبرتهم العدائية الخاصة في تناول الموضوع نفسه. والملاحظ أن شعراء المتن يشتغلون في تمرير هذا النسق بشكل أساسي على "البلاغة والمكانة العالية"، بينما ينشغل شعراء الهامش في تمرير ذات النسق بشكلٍ معكوس،

معتمدين في ذلك على السخرية والوقاحة في التشبيه والتشكي وصب العدائية على من يعتقدون أنهم المتسببون بفقرهم من خلفاء ووزراء وكل صاحب حظوة أو جاه. فهم أيضاً يتناولون الحسد، ولكنهم لا يتذمرون منه أو يفاخرون به. إنهم يهمسون به همساً، وإذا ما قرأت بعضاً من قصائد الشكوى والحرمان، تكاد تسمع حسراتهم. مثلاً، نحن نجد الشاعر ابن سكرة(ت٣٨٥هـ) يقول: (الثعالبي، ٢٠٠٣م، صفحة ٢٦/٣) [الوافر]

أرى حللاً وديباجاً حساناً فألحظها بطرف المستريب

وأعرف قصتي وأردُّ طرفي وفي قلبي أحر من اللهيب

جنى نسبي عليَّ وصد رزقي وأثكلني من الدنيا نصيبي

يبدو ان الشاعر ابن سكرة محاط بحزنٍ وخذلانٍ كبيرين، والسبب هو ظلم الواقع الاجتماعي الذي ميزَ طبقةً عن اخرى . لذلك هو يرى الحلل والديباج بعين الحسد والريبة، مستشعرا الظلم الذي حرمه من كل هذه النعم. بالوقت نفسه نجده مستسلم تماما لقدريته، ولذلك هو يصرف النظر عن كل تلك المظاهر الفاخرة، ويكتفي بالألم والتحسر، وهو يعزو تعاسته لضعف نسبه. وهذا هو ديدن شعراء الهامش عامةً، فهم دائما يعزون تعاستهم لشيءٍ ما. لذلك نحن نجد الشاعر ابن الحجاج(ت٣٩١هـ) يقدم قصيدة تقترب في مضامينها مما يقدمه الشاعر ابن سكرة، يقول الأول: (ابن الحجاج، ٢٠١٧م، صفحة ٢٩٧/١) [المتقارب]

وكنت تماسكت فيما مضى فقد خانني الدهر في مسكتي

إلى منـــزل لا يـــواري إذا تحصّلت فيه سوأتي كقبري

مقيماً أروح إلى منـــــزلٍ ومـــا حضـرت ميتتـــي

إذا ما ألمَّ صـــــديقي بهِ على رغـبةٍ منــه في زورتي

فرشت له فيه بُسط الحديـ تِ من باب بيتي إلى صفتي

ومعدته في خلالِ الكلا م تشكو خـواها إلى معدتــي

وإن أنا زاحمت حتى أمــوت دخـلت وقد خرجـت مهجـتي

فيرفعني الناس عند الوصول إليـهم وقد سقــطت عـمتـــي

وإن نهــضوا بعد للانصـــرا ف أسرعت في إثرهم نهضتي

وإن قدمـــوا خيلهـم للركوب خرجت فقدمـت لي ركبـــتي

وفي جمل الناس غلـمانهم وليس سوائي في جمـــلـتي

ولا لي غـــلام فادعـو به سوى من أبوه أخو عمـــتـي

وكنت مليحاً أروق العـيو ن فــقـد قُبحـت خـــلقتـــي

يبدو أن ابن الحجاج متألمًا من خيانة الدهر له فقد أفسد عليه عيشه وجعل بيته كئيب مثل قبر مهجور، وهي إشارة إلى الشعور بالعزلة واليأس بين الناس، فهو لا يجد معينًا أو غلامًا يخدمه كما يملك الآخرون، وهذا يؤكد شعوره بالدونية وقلة الحيلة. حتى حين يسقط أو ينهض، لا يجد من يمد له يد العون، في مقارنة بين حاله وحال من لهم أقارب وأتباع. وهو يقارن نفسه بالآخرين الذين يملكون الأتباع والخدم، بينما هو وحيد فلا يملك حتى غلامًا يستعين به: "وفي جمل الناس غلمانهم .. ولا لي غلام فادعو به" هنا يعكس الشاعر إحساسًا بالحسد تجاه من يحيط بهم الخدم والأتباع، وهو إحساس يضمر نوعًا من التذمر من التفاوت الطبقي الذي يحكم المجتمع، وهو يعزو سبب كل هذه التعاسة الى الدهر الذي خانه.

يفسر هذه الحالة العالم الأمريكي برنارد واينر الذي اهتم بتفسير سلوك الافراد العاديين وغير العاديين من خلال فهم طبيعة العزوات التي يقدمونها كمبررات لسلوكهم، تحت ما يسميه "نظرية العزو" التي تفترض أن الناس لا يضعون أسبابا لسلوكهم بصورة عشوائية، فهناك تفسير منطقي للأسباب التي نعزو سلوكنا إليها. وسلوكنا الحاضر يؤثر في سلوكنا اللاحق، فإذا عزونا سبب فشلنا إلى شخص ما، فهذا يعني أننا لا نحب ذلك الشخص

وبالعكس، (علي، ٢٠١٧م، صفحة ٢٠١). وهذا يَحمل شعراء الهامش غالبا على العدائية والبغضاء لكل صاحب مكانة عالية، والسبب فيما يعتقدون إنهم هم المتسببون بحرمانهم، لاسيما فيما يدخل تحت باب "العِداء اللفظي" كما سيتبين _ بعد قليل_.

كذلك نحن نؤشر على أن الشخصيات الهامشية المدروسة إنها كثيرًا ما تتصنع. فهم يتصنعون الظرافة ويتصنعون عدم الاكتراث كما ويتصنعون العلم والحذاقة الأدبية والثقافية. وكل هذا ينم عن امراض نفسية زرعتها فيهم السلطة الثقافية او السياسية. لذلك يرى فرويد إن اضطراب الصحة النفسية تحدث بسبب الصراع بين النظم ومكونات الشخصية الثلاثة والسبب هو ضعف الأنا وعدم قدرته على حل الصراع الذي يحدث بين مكونات الشخصية الثلاثة، وهذا يجعل الأنا الاعلى يلجأ إلى الوسائل الدفاعية المتعددة. (الكريم، ٢٠١٩، صفحة ١٢٩٦). وبطبيعة الحال، استخدام الوسائل الدفاعية بإفراط لا يعد مظهراً من مظاهر الصحة النفسية لأنها تَقومُ على تشوبهِ الحقائقِ والتّمويه. (الكريم، ٢٠١٩، صفحة ١٢٩٧). وإن ما يشعر به ابن سكرة وابن الحجاح يشعر به شعراء وادباء آخرون، فهذا أبو الحسن علي بن محمد الغزنوي، الأصبهاني، وهو أديب مهمش، ينقل الثعالبي في "يتيمته" طرفاً من أدبه ويصفه بنادرة دهره المكتفي بالفهم الثاقب. الغزنوي يرى أن لا مكان في بغداد لأمثاله، فهي حسرةُ المفلسينَ وجنةُ عدنٍ لأهلِ الثروات. لذلك نجده يقول: (الثعالبي، ٢٠٠٣م، صفحة ٥٢٠/٤). [المتقارب]

سقى الله بغداد مجنى العلوم ومغنى الأماني ومثوى الأدب

على أنها حسرة المفلسين وجنة عدن لأهل النــشب

إذا ما استتبت لنا عودةً إليها قضينا أقاصي الأرب

هذا النوع من انواع التشكي نجده وبكثرة عند هذه الطبقة المهمشة في الادب العباسي وهو ويحمل ولو بشكل ضمني معنى الحسد. وأحياناً يتجه شعراء الهامش لما يمكن تسميته "بالحسد الساخر". وهنا سوف يسخرون من

أنفسهم أولاً ومن الآخر ثانيا. شاعر مثل أبي دلامة(ت١٦١هـ) يزهد كثيراً بالشعر الذي يُجيده، ويتمنى لو أنه يُصبح نخاساً، يقول: (دلامة، ١٩٩٤م، صفحة ٦٨_٦٩) [الكامل]

إن كُنتَ تَبغي العَيشَ حُلواً صافياً فالشِّعرُ أَعزِبهُ وكُن نَخَّاسَاً

تَنَلِ الطَّرَائِفَ مِن ظِـرَافٍ نُهـــدٍ يُحدِثنَ كُلَّ عَشِـيَّةٍ أعراسَـا

والرِّبحُ فِيـما بَين ذلـكَ وافـــرٌ سَمحاً بِبَيعِكَ كُنتَ أو مَكَّاساً

دَارَت على الشُّعراءِ حُرفَةُ نَـوبَةٍ فَتَجَرَّعُوا مِن بَعدِ كَأسٍ كاسا

وَتَسَربَلوا قُمصَ الكَسادِ فَحَاولُوا بالنَّخسِ كَسباً يُذهِبُ الإفلاسا

أبو دلامة يدعو الشعراء الذين هم على شاكلته، الشعراء المفاليس، لاستبدال حرفة الأدب بحرفةٍ أخرى تدر الأموال، وقد اختار لهم ساخراً مهنة "النخاسة". هذا أن حرفة الأدب تتحول عند هذه الطبقة من الشعراء إلى نوع من أنواع البلاء التي تُقعد أصحابها في فقرٍ وحرمان دائمين. ولذلك هو يسخر من الشعراء المنتمي لهم "شعراء الهامش"، وينصحهم بأن يتركوا الشعر ويصبحوا "نخاسين". نسقية الأبيات واضحة؛ فالظاهر هو يسخر ويثير الضحك، ولكنه في المضمر النسقي يعترض على الحياة التي فرضت عليه وعلى أصدقائه من شعراء الهامش نمطاً معيناً من العيش. ومثله يصنع الحسين بن الحجاج فهو يعترض على الخليفة ويحسد كلابه لأنها تأكل اللحم، بينما هو محرومٌ منه. يقول: (ابن الحجاج، ٢٠١٧م، صفحة ٣٩٥)[الوافر]

رأيتُ كلابَ مولانا وقوفاً ورابضةً على ظهر الطـريق

تغذى بالجدا فوددت أني وحق الله خَركوشٌ سلـوقـي

فيا مولانا رافقني بكـــلب لأكل كل يوم مـــع رفيـقـي

أرى القصاب قد أضحى عدوي لشؤم البخت والملحي صديقي

يتخذ ابن الحجاج، وقبله أبو دلامة في هاتين المقطوعتين، أشد الطرق ذكاءً في التعبير، فهم عادةً ما يمررون الرسائل عبر السخرية كونها أسلم وأكثر قبولاً. السخرية من أنفسهم أولاً ومن الواقع السياسي والمجتمعي ثانياً، الواقع الذي أغنى النخاسين وأطعم الكلاب لحماً وأفقر الشعراء غير المحظوظين، فجعلهم يحسدون الحيوانات التي تأكل وتأوى. وهذا ما صرح به الأحنف العكبري(ت٤٢٨هـ) وهو واحد من الشعراء المفاليس وقد بات على جوعه يقارن نفسه بالعناكب والخنافس التي هي افضل منه حالا، يقول: (الثعالبي، ٢٠٠٣م، صفحة ١٣٨/٣) [البسيط]

العنكبوتُ بنت بيتاً على وهنٍ تأوي إليه وما لي مثلهُ وطنُ

والخنفساءُ لها من جِنسها سَكن وليس لي مثلها إلفٌ ولا سكنُ

وبينما يتحسر الأحنف على منزلٍ يأوي إليه كالخنافس أو العناكب، يتجه ابن الحجاج لمطالبة السلطان بالعدل في توزيع الثروات، متخذًا من السنور شبيهًا له، يقول: (الثعالبي أ.، ٢٠٠٣م، صفحة ٦٨/٣)[المنسرح]

ونحن سنانير أهل دولتكم فانصفونا من صاحب الغددِ

من نتائج المقارنة المريرة التي يضع المحروم نفسه فيها هي الانقياد للشعور بالدونية. لذلك نجد شعراء الهامش يشبهون احيانا أنفسهم بالحيوانات، ويرتضون لأنفسهم أكثر المهن استحقارا في المجتمع. فابن الحجاج يصور نفسه ومن معه بالسنانير وهو يطلب الإنصاف من شخص يصفه "بصاحب الغدد"، وهي كناية ساخرة من شخصٍ مصابٍ بانتفاخٍ في رقبتِه للدلالة على الطمع أو الفساد. وهذا ما يشعر به الحمدوني ايضا، فهو من الشعراء المهمشين شديدي الإحساس بالمفارقات الصارخة التي تميز الطبقات المترفة عن الفقيرة: (عطوان، ١٩٧٢م، صفحة ٨٦) [السريع]

من كان في الدنيا له شارةٌ فنحن من نظّارة الدنيا

نرمقها من كثبٍ حـــسرةً كأننا لفظٌ بلا معنى

هكذا هي المعادلة، فبقدر ما تتضخم "أنا الشاعر السيد" وينهار الرباط الإنساني بينه وبين المسود، ويصبح أسير ذاته، كما المتنبي وأصدقاؤه، تنحدر "أنا الشاعر المسود" إلى أدنى سلم الإنسانية. ويصبح عنف علاقة التسلط، المضاف والمتفاعل مع قسوة الطبيعة واعتباطها، هو القانون الذي يحكم حياة الإنسان المقهور بأجمعها، على مختلف مستوياتها وأوجهها وتفاصيلها. وبالتالي، سيُعمَّم نموذج التسلط والخضوع على كل العلاقات، وعلى كل المواقف من الحياة والآخرين والأشياء. (حجازي، ٢٠٠٥م، صفحة ٥٢).

السؤال الذي يتبادر للأذهان هنا: لماذا يقع هؤلاء المهمشون في الدونية؟ يَعتقد أرسطو أن جوهرَ الحسد يقعُ في المقارناتِ الاجتماعيةِ، فمن دونِ المقارناتِ لا يمكنُ أن يَنشأ الحَّسد. وقد شددَ على أهميةِ المقارناتِ الاجتماعيةِ في ظهورِ العديدِ من الانفعالاتِ، مثل: المُنافسة، والحَسد، والشفقةِ. (حسين، ٢٠١٩م، صفحة ٣٨) ووفقًا لفهم أرسطو، من المتوقع أن تؤدي كل مقارنة إلى مشاعر الحسد، لا سيما إذا كانت نتيجة المقارنة سلبية، بمعنى أن يُؤشِّر المرء على نقصٍ إزاءَ نفسه، وهذا عندما يكون أداؤهُ أسوأُ من الآخرين، أو عندما يكون أدنى منزلةً بينهم. وبطبيعة الحال، عندما تكون نتيجة المقارنة سلبية، يتولد شعور الألم والحسد. وهنا أدخل أرسطو عنصرًا أساسيًا في تعريف الحسد، وهي الدونية. فقد كتب أرسطو: "الشخصيةُ الحَسودةُ هي ألمٌ مزعجٌ يُثاُر نَتيجةً لرخاءِ ورفاهيةِ الآخرين"، فيُركزُ الحاسدُ على وضعيةِ المحسودِ، الذي يَمتلكُ شَيئًا، أو سمةً، أو حاجةً يَفتقُر إليها الحاسد. وقد قال: "نحنُ نحسدُ الآخرينَ الذينَ يمتلكونَ شيئًا مَرغوبًا، أو من ينجحون في مجالٍ معينٍ، وهذا الشيء يَكونُ بمنزلةِ تأنيبٍ أو لومٍ". (حسين، ٢٠١٩م، صفحة ٣٩).

إذن، الوقوع في الدونية هي مرحلة ثانية، فهي نتيجة المقارنة السلبية. وأبرز ما يميز هذه المرحلة هو اجتلاب مشاعر اللاقيمة والتبخيس الذاتي. فقد تُميِّز المشاعر الدونية عمومًا موقف الإنسان المقهور من الوجود، فهو يعيش حالة عجز إزاء قوى الطبيعة وغوائلها، وإزاء قوة السلطة على مختلف صورها. لهذا، نحن نجد شعراء الهامش يقعون في الدونية ويزدرون ذواتهم، لا بل إن بعضهم بدأ يتماهى مع الاستبداد الذي يُمارَس بحقه. لا شك

أن ما يعبّر عنه أبو دلامة وابن الحجاج وغيرهم من شعراء الهامش يُعَدُّ رفضًا، إلا أنه رفضٌ خجول يلبس أحيانًا لباس السخرية من الذات أو الآخر، لا بل إنه قد يلبس لباس المدح لإيصال الرسائل، وهو مدح السيد المستبد المحسود نفسه، وهذا يدخل ضمن باب التماهي مع الاستبداد من جهة، ومحاولة لضرب الممدوح بخجلٍ من جهةٍ ثانية. يقول ابن الحجاج: (ابن الحجاج، ٢٠١٧م، صفحة ٩١)[الوافر]

بني العباس إنـــكم بدورٌ بأفق المـــــجد دائمة الطـلوعِ

كلوا ثم اشربوا فيه هنيئًا ولا تأسوا على عطشي وجوعي

وناموا في الحروز إذا سكرتم فإني تحـــت صافية الصقيع

فبينما يشتكي من الحرمان الذي يُقعده، يتماهى مع الاستبداد الذي يُمارَس بحقه. ويتجه أحيانًا إلى الحسد الصريح حينما يخاطب أحد الأغنياء، فيقول: (ابن الحجاج، ٢٠١٧م، صفحة ٦٩/٣)[الخفيف]

لك مالٌ بث العطاء، ولكن فرجي اليوم منه في قيراط

وابقَ في نعمةٍ تدوم إلى أن يلج الفيلُ جوفَ سمِّ الخياط

يُعدِّد ابن الحجاج نعم الأغنياء الكثيرة ويذكرهم بها أولًا، ثم يذكّرهم بجيوبه الفارغة ثانيًا، فهو يذكّرهم بحروزهم المحصنة، أي قصورهم المنيعة، ويلفت انتباههم إلى أن بيته بلا سقف، وهو نائم في العراء. وبينما يُعدِّد لهم هذه النعم ويدعو لهم ظاهرًا بحفظها والاستزادة منها، يتحسر عليها في المضمر النسقي حاسدًا. وهذا ما يُعرفُ "بدافعِ الشخصيةِ الحَسودةِ"، فإنَّ لَدى الإنسان رغبةً فطريةً قويةً في الحصولِ على مكانةٍ اجتماعيةٍ، تتَطلبُ حاجةً متزايدةً إلى الإعجابِ والتقديرِ والسَّلطةِ أو الهيبةِ. وقد أشارت الأبحاث إلى أن تحقيق المكانة والهيبة يُعزّزان من تقديرِ الذات، ويخفضانِ من الاكتئابِ، ويرفعانِ مستوى الرفاهيةِ الذاتية. ومع هذه الفوائد، تُثير التهديداتِ للمكانةِ الشخصية للفرد استجابةً انفعاليةً شديدةً، ومن ثمَّ، فإن مُصادفة الفردِ ذي المكانة العالية قد تثيرُ دافعًا يَهدفُ للوصولِ إلى مكانتهِ أو التقليلِ من قيمةِ نجاحهِ (حسين، ٢٠١٩م، الصفحات ٣٨-٣٩). وما أن نصل إلى مرحلة

التقليل من قيمة نجاحات الآخر سيصل شعراء الهامش إلى العدائية اللفظية الصريحة. فهذا أبو الينبعي وهو من الشعراء المغمورين كان قد رفض قسوة الحياة وطبيعتها، التي ضحكت لمن لا يستحق، وتركت من هم أهل لذلك في همٍ وغمٍ دائمين، يقول: (طبقات الشعراء، د.ت ، صفحة ١٣١) [مخلع البسيط]

كم من حمارٍ على جوادٍ ومن جوادٍ بلا حمارِ

وقد تذمر الحمدوني من افلاسه، فهو لا يتملك حذاءً، في حين يرى غيره يعتلي الخيول، فيقول: (عطوان، ١٩٧٢م، صفحة ٩٣)[المتقارب]

تسامى الرجالُ على خيلهم ورجلي من بينهم حافية

فإن كُنــت حامــلنا ربنا وإلا فأرجلُ بني الزانية

ويرى ايضا، ان لا مكانَ في زمانهِ إلا للأغبياءِ الذين لا يدركون ما يحيط بهم، أما أهل العلم والمعرفة فهم التعساء الأشقياء لأنهم ما خُلقوا لهذا الزمان، لذلك يقول: (الثعالبي، ٢٠٠٣م، صفحة ٤٥٠/٢). [الكامل]

ما بالُ طعمِ العيشِ عندَ معاشرٍ حلوٌ وعندَ معـاشرٍ كالعــلقمِ

من لي بعيشِ الأغــبياءِ فإنّهُ لا عيشَ إلا عيشُ من لم يعلمِ

هذا ما أشرنا له آنفًا إذ يعتقد ابن مقلة(ت٣٢٨هـ) أن الرتب العالية استحقاقٌ مسلوبٌ منه، فيقول: (الثعالبي، ٢٠٠٣م، صفحة ١٣٣/٣).[الكامل]

وإذا رأيــت فتــىً بأعلــى رتــبةٍ في شامخٍ من عزّهِ المُترفعِ

قالت لي النَّفسُ العروفُ بفضلِها: ما كانَ أولاني بهذا الموضعِ

ويذهب الأحنف العبكري غيرَ مرةٍ إلى ذات المعنى، فيتعجّب من كيسه الخالي من الذهب الوافر، فيقول: (الثعالبي، ٢٠٠٣م، صفحة ١٣٩/٣). [الوافر]

ترى العقيانَ كالذهبِ المصفّى تَركـبُ فوقَ آثارِ الــدوابِ

وكيسي منه خلوٌ مـــثل كفّـي أما هذا من العجبِ العجابِ

ويقول أيضًا: (الثعالبي، ٢٠٠٣م، صفحة ١٣٨/٣). [البسيط]

رأيتُ في النومِ دنيـــانا مزخـــرفةً مثل العروسِ تراءت في المقاصير

فقلتُ: جودي، فقالت لي على عجلٍ إذا تخلّصتُ من أيدي الخنازيرِ

ويمارس كاتبٌ غيره ذات العنف اللفظي بحق من يعتقد أنهم أحقّ منه بالمكانات الدنيئة، لذلك يصفهم بالقرود حينما يقول: (عتيق، صفحة ٢١) [الطويل]

جلوسي في سوقٍ أبيعُ وأشتري دليلٌ على أن الأنامَ قرودُ

ولا خيرَ في قومٍ تذلُّ كرامُهم ويعظمُ فيهم نذلُهم ويسودُ

وتهجوهمُ عنّي رثاثةُ كسوتي هُجاءً قبيحًا ما عليهِ مزيدُ

تنعكس في هذه الابيات صورة مريرة للصراع بين الهامش والمتن، فالشاعر يصور واقعه الاجتماعي الذي يفتقر إلى القيم الحقيقية، وبطبيعة الحال سوف يتجلى احساسه بالغبن نتيجة لتسلط الانذال على الكرام. – وفقا لما يعتقد – هو ينتقد انحراف المعايير التي وصل اليها مجتمعه ويوجه سهامه اللاذعة للناس بحيث يصورهم قرود، وهكذا ستكون صورة المجتمع في عينيه مشوهة، لا بل انها صورة فارغة تخلو من المبادئ الإنسانية الأصيلة. الجدير بالذكر ان هذه الابيات لصاحب كتاب الصناعتين.

عُمومًا، هذه هي النتيجة الثالثة التي يصل إليها الشعراء المهمَّشون، فبعد أن عقدوا المقارنات بينهم وبين الآخرين، وتبيَّن لهم أنَّ النتائج سلبية، ارتدُّوا إلى الذات ونعوتها، باجترار مشاعر اللاقيمة. فمع بروز التيار الاضطهادي – الذي تحدَّثنا عنه آنفًا – تكون الحالة النفسية للإنسان المقهور قد بلغت درجةً عاليةً من التوتر الانفعالي والوجودي العام. وهنا، سرعان ما يدخل في مرحلةٍ من الغليان الداخلي للعدوانية التي كانت مقموعةً بشدَّة، والتي بدأت تفلت من القمع وتطفو على السطح.. إذ إنَّ كلَّ آليات مرحلة الرضوخ تظلُّ عاجزةً عن

التصريف الملائم للتوتر العدواني الناشئ عن القهر. (حجازي، ٢٠٠٥م، صفحة ٥١). وإنَّ فشل تحقيق الذات يولِّد أشدَّ مشاعر الذنب إيلامًا للنفس، وأقلَّها قابليَّةً للكبت والإنكار. هذه المشاعر سرعان ما تُفجِّر بدورها عدوانيةً شديدة، تزداد وطأتها تدريجيًّا بمقدار تراكمها الداخلي. وعندما تصل العدوانية إلى هذا الحد، لا بدَّ لها من تصريفٍ يتجاوز الارتداد إلى الذات وتحطيمها، كي يصل حدَّ الإسقاط على الآخرين (حجازي، ٢٠٠٥م، صفحة ٥١). وهذا ما فعله وصرَّح به والعكبري، وابن مقلة، وغيرهم من شعراء الهامش.

الدكتور مصطفى حجازي يرى أنَّ لُبَّ الشعور الاضطهادي هو التفتيش عن مخطئٍ يحمل وِزر العدوانية المتراكمة داخليًّا. (حجازي، ٢٠٠٥م، صفحة ٥١). لذلك، سوف يصبُّ الشاعر المهمَّش جام غضبه، على الآخر سواء كان ذلك الآخر "سلطة أو زمان أو شخص" فقد يدفعه شعوره بالنقص أولاً إلى الحسد ثمَّ إلى الإصابة بالذعر والارتداد للذات وتوبيخها، وأخيرًا إلى الهجوم على أصحاب الطبقات المترفة. وهذا ما يحدث أحيانًا مع هذه الطبقة الهامشية من الشعراء. فابن الحجاج، مثلًا، يتَّجه أحيانًا للسخرية من الوزراء بشكلٍ علنيٍّ وعدائيٍّ، كون الوزير حاول أن يتشاعر. فهو يَظنُّ أنَّ العلم والأدب خاصٌّ به، فلا يُعقل أن تجتمع الأموال والسلطة مع الأدب والعلم معًا، لذلك يقول: (ابن الحجاج، ٢٠١٧م، صفحة ٤/ ١٢٩) [الخفيف] **قيلَ إنَّ الوزيرَ قد قالَ شِعرًا يجمعُ الجهلُ شملَهُ ويَعمُّهُ**

ثمَّ أخفاهُ، فهوَ كالهِرِّ يَخرا في زوايا البيوتِ ثمَّ يَطُمُّهُ

ليتني كُنْتُ حاضرًا حينَ يروي فأَفْسو في راحتي وأَشُمُّهُ

هذه من أشكال العدوانية التي تشيع ضد المتسلط، وتتخذ شكل التعبير المقنع، العدوان اللفظي بالنكات والتشنيعات على اختلافها. والظاهرة يكاد لا يخلو منها مجتمع يعيش أهله في حالة رضوخ، فهي نوع من قلب الأدوار الوهمي، حين ينعت هذا الأخير بمختلف الأوصاف التي تحط من قدره، بينما يضحك المواطن المقهور ضحكة النصر. ولهذه الأساليب وظيفة تفريجية واضحة. (حجازي، ٢٠٠٥م، صفحة ١٧٢). وأحيانًا تدخل في

الفئة نفسها، مختلف تصرفات الخداع والتضليل والاحتيال في التعامل مع المتسلط، "صاحب الثروة أو السلطة". وهي تصرفات تحظى بقيمة كبيرة في أوساط الفئات المقهورة، وتعطي دلالة البراعة والحذق والشطارة، والفهلوة، إلخ . كل أساليب النيل من المتسلط أو ذي الحظوة، كل وسائل خداع السلطات والاحتيال عليها تعاش كانتصار ضد القهر. وفيها أيضًا يحدث قلب الأدوار، فالمتسلط القوي يتحول إلى ساذج مغفل، بينما المقهور يتحول إلى مسيطر بشكل خفي. (حجازي، ٢٠٠٥م، صفحة ١٧٣). هذا ايضا يحدث عادةً مع شعراء الهامش، لذلك نجد العكبري يقول: (الثعالبي، ٢٠٠٣م، صفحة ١٣٨/٣). [البسيط]

قد قسم الله رزقـــي في البلاد فما يكاد يُدرك إلا بالتفاريق

ولست مكتـــسبًا رزقًا بـفلسفة ولا بشعر ولكن بالمخاريق

والناس قد عملوا أني أخو حيل فلست أنفق إلا في الرساتيق

العكبري يريد تحويل الأغنياء إلى سذج، ويقول إن رزقه من هؤلاء السذج لا يُدرك إلا بالمخاريق، أي الألاعيب والتمويه القائم على الكذب والشطارة والحيل. وهذا يقوده لنوع من أنواع الصعلكة بمعناها العباسي، لذا هم يؤكدون المعنى مرات اخرى فيقول، ابو دلف الخزرجي(ت٣٩٠هـ): (الثعالبي، ٢٠٠٣م، صفحة ٤٢٨/٣). [الهزج]

وقد يُلتمسُ الخبزُ بمكروهٍ من الأمرِ

وهذا نوع آخر من أنواع العدوانية التي تكاد أن تهمّ فتخرج إلى الخارج على شكل مجابهة أو عنف. وهذا المعنى كثيرًا ما يتردد على ألسنة شعراء الهامش، ولهذا يدعو ابن الحجاج لأخذ الفلس ولو بالقوة من اللئام: (ابن الحجاج، ٢٠١٧م، صفحة ٣٠)[الطويل]

خُذِ الفَلْسَ مِن كَفِّ اللَّئيمِ فَإِنَّهُ أَعزُّ عَلَيْهِ مِن حُشَاشَةِ نَفْسِهِ

وهذا الطرح لا يخلو من دلالات اجتماعية، حيث يتحول التعدي على أموال السلطة أو الأغنياء إلى فعلٍ مشروع بنظر الشاعر، وكأنَّه ضربٌ من الاقتصاص من الظلم، لا مجرد جريمة أو تعدٍّ. وهو بذلك يبرِّر اللجوء إلى الاحتيال، أو حتى السرقة، كردّ فعلٍ على واقعٍ لا يرى فيه عدالةً في توزيع الثروة والمكانة الاجتماعية.

الخلاصة:

- حاولنا في البحث الكشف عن دور الحسد بوصفهِ نسقا ثقافيًا عند شعراء المتن والهامش وهو يعكس الفوارق الطبقية والاجتماعية بين الشعراء. وقد أتضح عند شعراء المتن امثال المتنبي وأبي تمام والبحتري، فقد إتخذوا موقفًا متعاليًا من الحسد بوصفه شهادةً على تفوقهم، بينما تعامل شعراء الهامش، أمثال ابو دلامة و ابن الحجاج وابن سكرة وغيرهم مع الحسد بأسلوبٍ ساخر أو بلغةٍ يمتزج فيها الاحتجاج بالتشكي والتذمر من الواقع الاجتماعي غير العادل.
- يبدو إن جميع السلوكيات المعروضة لشعراء المتن والهامش وتعاملهم مع "الحسد" يمكن ان تندرج تحت نظرية العزو او نظرية اللذة والألم فمثلما كان المتنبي يستلذ بالتفاخر بحسد الحساد له ويعزو ذلك لنبوغه الشعري كان يتألم شعراء الهامش، ويعزون ذلك لقدرهم وسوء حظهم.
- كانت "العدائية" هي العامل المشترك عند الشاعر السيد والشاعر المسود، فمثلما يزدري المتنبي الحساد ويفتخر بسحقهم والنيل منهم، كان قد ردَّ شعراء الهامش. الجدير بالذكر أن نسقية شاعر المتن كانت واضحة يسهل العثور عليها بينما هي عند شعراء الهامش أكثر تعقيدا، فقد مرَّ الشعراء الحُساد بثلاث مراحل: "عقد المقارنات ذات النتائج السلبية، والارتداد الى الذات ونعتها باجتلاب مشاعر اللاقيمة، وأخيرا الخروج والمجابهة بالعدائية اللفظية الصريحة".

مراجع

ابن الرومي. (٢٠٠٢م). *ديوان ابن الرومي* (المجلد الطبعة الثانية). (احمد حسن بسج، المترجمون) بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن المعتز. (د.ت). *طبقات الشعراء* (المجلد د.ط). (عبد الستار احمد فرج، المحرر) القاهرة: دار المعارف.

ابو القاسم الحسن بن بشر الآمدي. (د. ت). *الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري* (المجلد د.ط). (د. عبد الله حمد محارب، المترجمون) القاهرة: مكتبة الخانجي.

ابو دلامة. (١٩٩٤م). *ديوان ابي دلامة* (المجلد الطبعة الاولى). (اميل بديع يعقوب، المترجمون) بيروت: دار الجيل.

ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ابن قتيبة. (٢٠٠٨م). *عيون الأخبار* (المجلد الاولى). (منذر محمد سعيد ابو شعر، المترجمون) بيروت _ عمان: المكتب الاسلامي.

أبي منصور عبد الله الملك الثعالبي (ت٤٢٩هـ). (١٩٨٣م). *يتيمة الدهر في محاسن العصر* (المجلد الثالثة). (تحقيق: د.حسين محمّد قيمَة،، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

أبي منصور عبد الملك بن محمد اسماعيل الثعالبي. (٢٠٠٣م). *التمثيل والمحاضرة* (المجلد الاولى). (قصي الحسين، المترجمون) بيروت: دار ومكتبة الهلال.

الامتاع والمؤانسة. (٢٠١٩). *أبو حيان التوحيدي* (المجلد د.ط). (احمد أمين وأحمد الزين، المترجمون) القاهرة: مؤسسة هنداوي.

الجاحظ. (١٩٩١م). *رسائل الجاحظ* (المجلد الطبعة الاولى). (عبد السلام محمد هارون، المترجمون) بيروت: دار الجيل.

الحسين ابن الحجاج. (٢٠١٧م). *ديوان ابن الحجاج، عبد الله الحُسين بن أحمد المتوفي سنة (ت٣٩١هـ).* (المجلد الاولى). (د. سعيد الغانمي، المحرر) بغداد: منشورات الجمل.

الشريف الرضي. (١٩٦١م). *ديوان الشريف الرضي* (المجلد الاولى). بيروت: دار الصادر وبيروت للطباعة والنشر.

العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور. (بلا تاريخ). *لسان العرب* (المجلد الطبعة الاولى). (تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هشام محمد الشاذلي، المترجمون) القاهرة.: دار المعارف.

ألفريد ادلر. (٢٠٠٥م). *الطبيعة البشرية* (المجلد الطبعة الاولى). (عادل نجيب بشرى، المترجمون) القاهرة: المشروع القومي للترجمة.

المتنبي. (٢٠١٤م). *ديوان المتنبي* (المجلد الطبعة الاولى). (د. درويش الجويدي، المترجمون) بيروت: المكتبة العصرية.

د. مصطفى حجازي. (٢٠٠٥م). *التخلف الاجتماعي: مدخل الى سيكولوجية الإنسان المقهور* (المجلد التاسعة). المغرب: الدار البيضاء.

د.حسين عطوان. (١٩٧٢م). *الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الاول* (المجلد الطبعة الاولى). بيروت: دار الجيل.

دينا عباس حسين. (٢٠١٩م). *الحسد على وفق مستويات المقارنة الاجتماعية* (المجلد رسالة ماجستير). بغداد: الجامعة المستنصرية / كلية الاداب / قسم علم النفس .

عبد العزيز عتيق. (بلا تاريخ). *علم البديع* (المجلد الطبعة الاولى). بيروت: دار النهضة العربية.

عبد الواحد محمد تميمي آمدي. (د.ت). *تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم* (المجلد الاولى). (المصطفى الدرايتي، المترجمون) مكتب الاعلام الاسلامي.

عبد علي عبيد علي / اسمية حسنعليان / ا.د مشتاق طالب منعم. (حزيران/ ٢٠٢٢). *الصراع الاجتماعي وأثره في ثبات الهوية وتحولها عند شعراء بكر في الجاهلية دراسة في ضوء النقد الثقافي* (المجلد العدد / ١٠٢). بغداد: مجلة / آداب المستنصرية.

م. م . اسراء عبد الحسين علي. (٢٠١٧م). *اعاقة الذات لدى طلبة الجامعة المستنصرية* (المجلد المجلد ١٨ / العدد الثاني). بغداد: الجامعة المستنصرية / مجلة كلية التربية.